# نَظَرِيَّةُ جَمْعِ القُرآنِ وتَدْوينِهِ في عَصْرِ النبيِّ ﷺ
## (بين الردّ والقبول)
### (دراسة روائية)

السيّد توقير عباس الكاظمي
جمهورية باكستان الاسلامية

## فحوى البحث

بعد أن عجز المعاندون للقرآن من زرع الشبهات في نصوصه نقلوا الخلاف الى جمع القرآن منذ نزوله وحتى تدوينه فقد غيب هؤلاء المعنيون اغلب الادلة النقلية والعقلية حول جمعه على الرغم من أن القرآن بات حقيقة ساطعة أمام أعين الجميع فلا اختلاف ولاخلاف في نزوله وتدوينه وجمعه.

المقدمـــــة:

القرآن الكريم هو كتاب لهداية البشر الذي أنزل على نبينا محمدﷺ، وكان النبيﷺ يبلّغ الناس ما نزل إليهـــم من ربهم من غير أن يكتم منه شيئا، وقد نص عليه القرآن بقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة النحل: ٤٤].

وكذلك يعد القرآن الكريم الدستور الأساس للأمّة الإسلاميـة، ولذلك لم يزل المسلمون يهتمّون اهتمامـــا شديدا بهذا الكتاب الالهي منذ نزوله، يقدّسونه و يحترمونه، و كانوا يرغبون في أخذه و حفظه؛ و لم يُترك هذا الشأن و لا ارتفـع القرآن من بينهم، لا يوما أو بعض يوم حتى وصل جيلا بعد جيل حتى اليوم.

لكن قد وقع الخلاف بين المسلمين حول موضوع جمـع القرآن و تدوينـه (متى وكيف و... الخ). وهذا الموضوع من المواضيع المهمة في علوم القرآن، وله علاقة وثيقة بمسألة «التحريف بالزيادة أو النقيصة». ولكنّه صار محل النقاش و الإختلاف بين المسلمين.

هناك جهات متعـددة للبحـث في موضوع جمع القرآن، بحيث يمكن أن نبحثه من جهة قرآنية و الروائية، كما يمكن أن نبحثه من جهة تاريخيه أو العقلية؛ لكن هنا لسنـا بصدد تعرّض هذا الموضوع من هذه الجهات المذكورة؛ بل نبحثه من خلال الروايات الواردة في المصادر السنّة فقط.

فقـــد استعرضنـــا في هذا المقـــال، الروايات المتعـــددة التي وردت في هذا الموضوع، و قارنا بينهـا مقارنة منصفة، و أشرنا إلى جوانب الإختلاف و التناقض فيها؛ ثمّ نقلنا الروايات الدالة على جمع القرآن في زمن النبيﷺ، و قسمناها إلى الروايات الصريحـــة و غير الصريحة، ثمّ تعرّضنا بالأقوال القائلين بجمع القرآن بعد النبي من الإمامية و حاولنا على الجمع بين النظريتين و بيّنا أدلة هذا الجمع.

وفي الأخير تعرّضنا إلى السؤال حول مصحف علي و جمع عثمان.

مفهوم جمع القرآن:

**الجمـع لغـــة**: ((هو ضمّ الشـيء بتقريب بعضـه من بعض، يقال: جَمَعْتُهُ

فَاجْتَمَعَ))[1].

وقال ابن منظور في معناه: ((جَمَعَ الشيءَ عن تَفْرِقة يَجْمَعُه جَمْعاً. و المجموع: الذي جُمع من هاهنا و هاهنا و إِن لم يجعل كالشيء الواحد))[2].

أمّا مصطلح ((جمع القرآن)) فيُقصد به عدّة معاني، منها[3]:

١. التأليف والتركيب وجعل كلّ آية في السورة التي هي جزء لها وفي موضعها من تلك السورة، وكونها آية ثانية له مثلاً أو ثالثة أو رابعة وهكذا.

٢. تحصيل القرآن بأجمعه من الأشياء المتفرّقة والمتشتّة المكتوب عليها، أي جمع القرآن عن طريق كتابة و جعله في مصحف واحد.

٣. جمع القرآن بجميع شؤونه من التأويل والتفسير وشأن النزول وغيره.

٤. جمع المتفرّقات وكتابتها في شيء واحد كالقرطاس والمصحف بناءً على مغايرته للقرطاس.

٥. جمع المسلمين على قراءة واحدة من القراءات المختلفة، التي نشأت من اختلاف ألسِنة القبائل والأماكن.

٦. جمع القرآن في الصدور، و يُقصد منه حفظه.

قال الشيخ فاضل اللنكراني: أنّ الجمع بالمعنى الأول لا يكون إلاّ وظيفة النبيّ ﷺ بما هو نبيّ، ولم يتحقّق إلاّ منه، ولا معنى لصدوره من غيره، حتّى في عصره وزمن حياته. ضرورة أ نّه من شؤون القرآن وما به تقوم حقيقته، ولا طريق له إلاّ الوحي، فلا يصلح إسناده إلى غير النبيّ ﷺ بوجه. والجمع بالمعنى الثالث يختصّ بمولانا أمير المؤمنين، كما يدلّ عليه الروايات الكثيرة. أمّا المعنى الرابع هو الجمع المنسوب إلى أبي بكر، ويدلّ بعض الروايات على نسبته إلى عمر بن الخطّاب؛ و المعنى الخامس و هو المراد من الجمع المنسوب إلى عثمان بن عفان لأنّه جَمَع المسلمين على قراءة واحدة، بعد تحقّق اختلاف القراءة بينهم، من جهة اختلاف القبائل والأمكنة في اللحن والتعبير. أمّا المعنى السادس فهو خارج عن بحثنا.

فالمراد من مصطلح جمع القرآن الذي هو محلّ البحث في المقام هو المعنى الثاني،

أي تحصيل القرآن بأجمعه من الأشياء المتفرّقة والمتشتّة المكتوب عليها، فهل حصل هذا الجمع في عصر النبي أو حصل بعد عصره؟.

## تاريخ بحث جمع القرآن:

عندما نرجع إلى تاريخ بحث جمع القرآن من خلال النصوص والأحاديث التي تناولته، نجد أن هذا البحث قد تناوله الباحثون في علوم القرآن منذ العصور الأولى، واختلفوا فيه من جهات مختلفة.

لكن مع ذلك كلّ علماء المسلمين تتفق على نتيجة واحدة وهي أنّ القرآن المتداول بين المسلمين والذي هو بأيدينا اليوم هو نفس القرآن الذي نزل على النبي الأكرمﷺ وحيًا من الله تبارك و تعالى.

## نظريات في موضوع جمع القرآن:

قد وقع الإختلاف بين علماء المسلين حول جمع القرآن و تدوينه، بأنّه هل جُمع القرآن و رُتّب في مصحف على عهد النبيﷺ أم جُمع بعد وفاتهﷺ و في عصر الصحابة الأوائل؟.

هناك نظريتان أساسيان في هذا الموضوع، إحداهما اختارها أكثر علماء السُّنة وقالوا: بأنّ القرآن لم يكن مرتّباً في مصحف على عهد النبيﷺ و لكنّه كان محفوظا في الصدور و مكتوبا في العُسُبُ[٤] و اللِّخَاف[٥] و الجُلود و الرِّقَاع[٦] غير ذلك، ثمّ جُمع بعد وفات النبيﷺ و في عصر الصحابة الأوائل بداية من عهد أبي بكر إلى أن انتهى الأمر في عهد عثمان بن عفان بإقرار مصحف واحد رسمي وإحراق ما عداه[٧].

في مقابل ذلك هناك نظرية تقررها أكثر المصادر الشيعية (الإمامية) و تؤكّدها معظم علمائهم، القائلين بجمع القرآن و تدوينه في عصر النبيﷺ و بأنّه حرص نفسه على جمعه، فالقرآن جُمع في زمن الرسولﷺ؛ حتى أنّ بعض علماء الشيعة أكّدوا على أنّ القرآن الموجود بين أيدينا اليوم هو على نفس الشكل الذي جُمع في عهد الرسالة[٨].

## الروايات السنّية الدالة على جمع القرآن:

## بعد النبيﷺ والإشكالات فيها:

قد ورد في المصادر السنية عدداً من الروايات التي تتحدث عن جمع القرآن

و تدوينه بعد عصر النبيﷺ، و في عهد الصحابة، أشهرهـا -وربّما أهمها على الإطلاق -رواية زيد بن ثابت، أشهـر كتاب الوحي، وقد قال فيها:

((أرسل إليّ أبو بكر بعد مقتـل أهل اليمامة[٩]، فإذا عمر بن الخطـاب عنده، فقـال أبو بكر: إن عمـر أتاني، فقال: إن القتل اسْتحَرّ يوم اليمـامة بقرّاء القرآن، و إني أخشى أن يَسْتَحِرّ القتلُ بالقـرّاء فيذهبَ كثيرٌ من القـرآن، و إني أرى أن تأمر بجمع القرآن. فقلت لعمـر: كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول اللهّ؟. قال عمر: هذا و اللهّ خير)).

ثمّ قال زيد إنّ أبابكر قال له: ((إنك رجل شاب عاقل لا نتّهمك، وقد كنت تكتـب الوحي لرسـول اللهﷺ، فتَتَبَّعْ القرآن فاجمعه)).

وأضاف زيد يقول: ((فتتبعتُ القرآن أجمعه من العسب واللخـاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾، حتى خاتمة براءة ((التوبة: ١٢٨، ١٢٩))؛ فكانت الصحف (التي كتب فيها القرآن) عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهم))[١٠].

هذه هي أشهر الروايات في باب جمع القرآن عند أهل السنة، يستندون بجمع القرآن الكريم في زمن الصحابة؛ لكنّها من جهة أخرى بنفسها تدلّ على أنّ القرآن كان مكتوبا في زمن النبيﷺ، كما هو واضح من نصّ الرواية بقوله: ((فتتبعتُ القرآن، أجمعه من العسب واللخـاف و...)).

وكذلك قوله: ((لم أجدها مع أحد غيره)) صريح في أنّ زيد كان يتتبّع القرآن المكتوب، لا القرآن الموجود في الصدور.

هناك روايات أخرى في مصادر السنّة تتحدث عن جمع القرآن بطريقة أخرى، لا داعي لذكرها هنا، وقد جمعها السيد الخوئي في كتابه ((البيان في تفسير القرآن)) و تناول هذا الموضوع بشكل مفصل تحت عنوان ((فكرة عن جمع القرآن))، حيث نقل فيها أهم الروايات (تبلغ عددها ٢٢

رواية) التي وردت في كيفية جمع القرآن من المصادر العامة؛ ثمّ قارن بينها مقارنة منصفة، و أبرز جوانب الإختلاف و التناقض فيها من جهات عديدة وأنّها ليست متّفقة على صيغة واحدة، كما أنّها تختلف في زمان الجمع و متصدّيه و طريقته والعهد الذي تمّ الجمع فيه[١١].

ثم بيّن السيد الخوئي أنّ هذه الروايات تعارض روايات أخرى الواردة في المصادر السُّنية تشهد بأنّ القرآن قد تمّ جمعه في زمن النبيﷺ، و سنذكر بعضها لاحقًا؛ كما أنّها تتعارض مع الآيات القرآنية و حكم العقل[١٢].

## الروايات السنّية الدالة على:
## جمع القرآن في عصر النبيﷺ:

هناك كثير من النصوص الواردة في المصادر السُّنية تدلّ واضحة الدلالة على جمع القرآن الكريم و تدوينه في عصر النبيﷺ؛ وهي على قسمين:

### الروايات الصريحة:

هناك بعض الروايات تصرّح بجمع القرآن في عصر النبيﷺ، منها:

١. رواية عثمان بن عفان، ابن عباس التي ذكر فيها: أن النبيﷺ ((إن رسول اللهﷺ كان مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء (من القرآن) يدعو بعض من يكتب عنده فيقول: ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا...))[١٣].

٢. رواية زيد بن ثابت قال: (( كُنَّا عِنْدَ رَسُوْلِ اللهﷺ نُؤَلِّفُ القُرْآنَ مِنَ الرِّقاعِ))[١٤].

قال الحاكم في مستدركه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه وفيه البيان الواضح أنّ جمع القرآن لم يكن مرّة واحدة فقد جُمع بعضه بحضرة رسول الله، ثم بعضه بحضرة أبي بكر... و عثمان.[١٥].

٣. عن عثمان بن أبي العاص: ((... فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُوْلِ اللهﷺ فَسَأَلْتُهُ مُصْحَفاً كَانَ عِنْدَهُ، فَأَعْطَانِيْه[١٦].

بعض علماء السنّة أقرّوا بأنّ هذه الرواية دليل على جمع القرآن في عصر النبيﷺ؛ كما أنّه نُقلَ عن أبي بكر بن أبي عاصم قوله: ((هذا مما يُحتَج أنّ القرآن

جُمع في المصاحف على عهد رسول الله ﷺ))[١٧].

الروايات غير الصريحة:

هناك بعض الروايات تشير إلى جمع القرآن في عصر النبي ﷺ، منها:

١. عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: « لَا تُسَافِرُوا بِالْقُرْآنِ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَنَالَهُ الْعَدُوُّ... [١٨].

هذه الرواية تشير على أنّ القرآن كان مجموعاً في المصاحف، كما صرّح بذلك ابن أبي عاصم بعد نقل مثلها بأنّه: ((دلّ على أنّه (القرآن) كان مجموعًا في المصاحف[١٩].

٢. رواية ابن عمر قال: جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة -فبلغ النبي ﷺ فقال: اقرأه في شهر.

٣. هناك روايات متعددة تتحدث أنّ بعض الأصحاب جمعوا القرآن في زمن النبي ﷺ: منها:

أ. عن ابن أبي داود عن الشعبي قال: جمع القرآن في عهد النبي ﷺ سبعة: أبي و زيد و معاذ و أبو الدرداء -و سعيد بن عبيد و أبو زيد و مجمع بن حارثة، و قد أخذه إلا سورتين أو ثلاث.

ب. رواية الشعبي أنه قال: ((جَمَع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ستة من الأنصار: زيد بن ثابت، وأبو زيد، ومعاذ بن جبل، وأبو الدرداء، وسعد بن عبادة، أُبَيّ بن كعب...))[٢٠].

ج. رواية ابن أبي داود عن محمد بن كعب القرظي قال: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ خمسة من الأنصار: معاذ بن جبل، و عبادة بن الصامت، و أبي بن كعب، و أبو الدرداء، و أبو أيوب الأنصاري[٢١].

د. رواية قتادة، عن أنس بن مالك: ((جَمَع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة، كلّهم من الأنصار: أبي، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد، وزيد بن ثابت))[٢٢].

نكتة مهمّة حول لفظة ((جمع)) في هذه الروايات:

و لعل قائلًا يقول: إنّ المراد من الجمع في هذه الروايات هو الجمع في الصدور و الأذهان، وليس بمعنى حفظ المكتوب؛

لكن هذا القول دعوى لا شاهد عليها، بل لابدّ أن يكون بمعنى حفظ المكتوب كما هو كذلك لغة و إصطلاحًا.

أضف إلى ذلك أنّ حفّاظ القرآن على عهد رسول اللهﷺ كانوا أكثر من أن تُحصى أسماؤهم فكيف يمكن حصرهم في أربعة أو ستة؟. فلا يعقل أن يكون هؤلاء الستّة أو الخمسة أو الأربعة هم وحدهم الذين كانوا يحفظون القرآن كلّه زمن النبيﷺ. و إنّما المقصود بـ "جمع القرآن" من طرف هؤلاء، هو أخذه من القُرّاء والمواد المكتوب عليها وجمعه في مصحف.

و هناك نكتة أخرى أنّه مع هذه الروايات لا يمكن تصديق قول القائل أنّ أبا بكر كان أوّل من جمع القرآن بعد خلافته.

## القائلين بجمع القرآن بعد عصر النبيﷺ من الإمامية:

هناك بعض علماء الإمامية المعاصرين لم يقبلوا نظرية جمع القرآن في عصر النبيﷺ بل أكدّوا على جمعه في عصر الصحابة؛ منهم:

### ١. العلامة الطباطبائي:

هو لم يقبل نظرية جمع القرآن في عصر النبيﷺ؛ حتى يوؤل بعض الروايات الصريحة في هذا الباب، كما قال عند تبيين رواية زيد بن ثابت[٢٣]:

أقول: ((و لعلّ المراد ضمّ بعض الآيات النازلة نجوما إلى بعض السور أو إلحاق بعض السور إلى بعضها كي يتماثل صنفا كالطوال و المئين و المفصلات، فقد ورد لها ذكر في الأحاديث النبوية، و إلا فتأليف القرآن و جمعه مصحفا واحدا إنما كان بعد ما قبض النبيﷺ بلا إشكال، و على مثل هذا ينبغي أن يحمل ما يأتي))[٢٤].

### ٢. الشيخ هادي معرفة:

هو أيضا لم يقبل جمع القرآن في عصر النبيﷺ؛ وقال: ((تأليف القرآن في شكله الحاضر، في نظم آياته و ترتيب سُوَره، و كذلك في تشكيله و تنقيطه و تفصيله إلى أجزاء و مقاطع، لم يكن وليد عامل واحد، و لم يكتمل في فترة الوحي الأُولى))[٢٥].

## الروايات الشيعة الدّالة على جمع القرآن بعد عصر النبيﷺ:

أشرنا إلى بعض علماء الإمامية

المعاصرين الذين لم يقبلوا نظريـة جمع القرآن في عصر النبيﷺ. و هناك روايات إمامية قد تؤيّد هؤلاء الطائفة من العلماء، منها:

١. عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ‌ؑ، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ص قَالَ لِعَلِيٍّؑ: ((يَا عَلِيُّ الْقُرْآنُ خَلْفَ فِرَاشِي فِي الْمُصْحَفِ وَ الْحَرِيرِ وَ الْقَرَاطِيسِ فَخُذُوهُ وَ اجْمَعُوهُ وَ لَا تُضَيِّعُوهُ كَمَا ضَيَّعَتِ الْيَهُودُ التَّوْرَاةَ، فَانْطَلَقَ عَلِيٌّ فَجَمَعَهُ فِي ثَوْبٍ أَصْفَرَ ثُمَّ خَتَمَ عَلَيْهِ فِي بَيْتِهِ وَ قَالَ لَا أَرْتَدِي حَتَّى أَجْمَعَهُ وَ إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَأْتِيهِ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ بِغَيْرِ رِدَاءٍ حَتَّى جَمَعَه))[٢٦].

٢. و في نقل آخر: ((أن أمير المؤمنينؑ جمع القرآن في المدينة بعد وفاة رسول اللهﷺ بمدة قدرها سبعة أيام بعد وفاته)).

٣. روى العيّاشي في تفسيره: قال عليؑ: «إن رسول اللهﷺ قال لي و أوصاني أن إذا واريته في حفرته لا أخرج من بيتي حتى أؤلّف كتاب الله، فإنه في جرائد النخل و في أكتاف الإبل»[٢٧].

الجمع بين النظريتين

يمكن الجمـــع بين النظريتين (أي نظرية جمع القرآن في عصر النبيﷺ بعده) بالتفريق بين أصل عملية تدوين القرآن وكتابته و بين جمعه بين الدفّتين بشكل كتاب منتظم الأوراق والصفحات؛ نقول بأنّ عملية تدوين القرآن و كتابته قد تمّ في عصر النبيﷺ، بينما عملية جمع القرآن بين الدفّتين قد تمّ في عصر الصحابة.

لأنّ دليل القائلين بجمع القرآن في عصر النبيﷺ ما يساعـد القول بجمع القرآن كلّه بصورة كتاب مستقل في ذاك العصر؛ ولذلك اكثر علمـاء السنّة حملوا هذه الطائفة من الأخبار، على معنى جمعه في الصدور.

والذي يؤيّد هذا الجمـــع هو نفس الأخبار، إذ إنّ الروايات التي توكّد على جمع القرآن بعد النبيﷺ، و إن كـانت متناقضة في نفسها (كما يرى السيد الخوئي) و لكن يمكن الالتزام بصحّة مضمونهـا الاجمالي الذي تؤكّده تلك الروايـــات بأكملها وهو حدوث عملية جمـع القرآن الكريـــم بعد النبيﷺ، و إن نقول أنّ الروايات التي تبيّن جمع القرآن في عصر

الصحابة تكون بصدد الحديث عن جمعه بشكل مصحف مرتب، و الروايات التي تبيّن جمع القرآن في عصر النبيﷺ تكون بصدد الحديث عن أصل عمل عملية تدوينه و كتابته؛ و بهذا يرتفع التعارض أيضًا الذي ذكره السيد الخوئيقدس سره.

و يؤيّده بعض روايات أخرى، كما روى العيّاشي في تفسيره: قال علي: «إن رسول اللهﷺ قال لي و أوصاني أن إذا واريته في حفرته لا أخرج من بيتي حتى أؤلّف كتاب الله، فإنه في جرائد النخل و في أكتاف الإبل»[٢٨].

ويؤيّده أيضا ما روي بطرق عديدة صحيحة عن الشيعة و السنّة بأنّ الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام قد قام بجمع القرآن بعد وفات النبيﷺ؛ و أنّه عند وفاة رسول اللهﷺ أقسم أن لا يضع على ظهره رداء حتى يجمع القرآن، فجلس في بيته حتى جمع القرآن.

كما ورد أنه قال: ((ثُمَّ آلَيْتُ عَلَى نَفْسِي يَمِيناً أَنْ لَا أَرْتَدِيَ بِرِدَاءٍ إِلَّا لِلصَّلَاةِ حَتَّى أَجْمَعَ الْقُرْآنَ فَفَعَلْتُ))[٢٩].

فقعود أمير المؤمنين في بيته بعد وفات النبيﷺ لجمع القرآن و تأليفه خوفًا من ضياعه لا يجتمع مع كونه مجموعًا مؤلّفًا مرتّبًا في حياتهﷺ.

يمكن للقائل أن يجيب: بأنّه ما روي بشأن جمع القرآن على يد الامام عليّعليه السلام بعد عصر الرّسولﷺ، لم يكن القرآن وحده، بل مجموعة تتضمّن القرآن و تفسيره و أسباب نزول الآيات، و ما شابه ذلك ممّا يساعد القاري لفهم كلام اللهّ العزيز[٣٠].

لكن هذا الجواب أيضًا ما يساعد القول بجمعه في عصر النبيﷺ كما هو واضح.

## دعوى كون القرآن مجموعًا مؤلّفًا في عصر النبيﷺ:

أمّا القول بأن القرآن كان على عهد رسول اللهﷺ مجموعًا مؤلّفًا على ما هو الآنَ، فهو مجرد دعوى، يحتاج إلى دليل قطعي. وقد نصّ عليه العاملي (م: ١١٣٨) في مرآة الأنوار، بقوله: إنّ أخبارهم في هذه الحكاية (جمع القرآن) كثيرة جدًّا،... نعم يُستفاد منها جميعًا أنّ القرآن الّذي بأيدينا ليس مِن جمع النبي بل

أنّ الذي تصدّى لجمعه أبوبكر ثمّ عمر ثمّ عثمان، و أنّه الّذي أتمّ جمعه و رتّبه ترتيبه الموجود... ويؤيّد ذلك ما يستفاد منها أيضا من أنّهم لم يدخلوا عليًا عليه السلام في ذلك أصلا و أنّهم محوا سائر المصاحف. و كذا يؤيّد ذلك عدم التفاتهم إلى ما أخبرهم به عليّ عليه السلام من جمعه القرآن بعد النبي صلى الله عليه وآله[٣١].

بالإضافة إلى ذلك هناك قرائن أخرى تؤيّد نظرية عدم جمع القرآن الموجود بأيدينا اليوم في زمن النبي صلى الله عليه وآله، منها:

١. عدم تأليف القرآن بصورة تنزيلي: بحيث يمكننا أن نقول: أنّه إذا كان القرآن الموجود بأيدينا اليوم جُمع في عصر النبي صلى الله عليه وآله و بإشرافه صلى الله عليه وآله، فكان ينبغي أن يؤلّف بصورة تنزيلي، الذي كان أقرب للفهم الصحيح قطعا؛ ولا نرى داعي خاص أن يُجمع بصورة الموجودة اليوم.

٢. تقديم سور المدنية علي المكية و بالعكس: بحيث نعرف أنه هناك بعض سور المكية يقدم علي المدنية و بعض السور المدنية يقدم علي المكية؛ فما كان الداعي أن يسمح النبي تأليف القرآن بهذه الصورة.

٣. التداخل بين الآيات المكية و المدنية.

٤. التداخل بين الآيات بحيث يشتبه الأمر على القاري.

هناك قد وقع التداخل بين الآيات بحيث يلتبس الأمر علي القاري ويُفهم غير مراد الله تعالى عزوجل، كما حصل ذلك بالنسبة إلى آية التطهير.

فالنقرأ آية التطهير مع ما قبلها و ما بعدها: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٢-٣٤].

نرى أنّ الآيات السابقة و اللاحقة على آية التطهير، تتحدّث حول أزواج رسول اللهّ، و لذلك اعتقد البعض أنّ

تعبير ((أهل البيت)) مختصّ بنساء النّبي.

و علماء الإمامية في نفي هذا الادّعاء قالوا بأنّ الآيات السابقة و اللاحقة على آية التطهير، جاءت بصيغة ضمير النسوة، في حين أنّ ضمائر هذه القطعة من الآية (أي آية التطهير) قد وردت بصيغة جمع المذكر.

هذا الإنتباه ينفي إدّعاء المذكور من جانب و من جانب آخر يوحي بأنّ هذه الجزئية من الآية (أي آية التطهير) وضعت هنا عمدا، و ليس هذا مكانه في الواقع.

هذا وقد صرّح بعض المفسرين أنّه لا دليل لدينا على أنّ جملة: إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ... قد نزلت مع هذه الآيات، بل يستفاد جيّدا من الرّوايات أنّ هذه القطعة قد نزلت منفصلة، ثمّ وُضع هنا.

فهذه الموارد أيضا تؤيّد نظرية عدم جمع القرآن الموجود بأيدينا اليوم في زمن النبيﷺ.

ولذلك قال العلامة الطباطبائي: ((أقصى ما تدل عليه هذه الروايات مجرد جمعهم ما نزلت من السور و الآيات، و أما العناية بترتيب السور و الآيات كما هو اليوم أو بترتيب آخر فلا))[٣٢].

## الإستشهاد بلفظة ((كتاب)) في حديث الثقلين على جمع القرآن في عصر النبيﷺ و جوابه:

القائلون بنظرية جمع القرآن في زمن النبيﷺ قد تمسّكوا ببعض الروايات الواردة فيها لفظة ((كتاب)) كحديث الثقلين المتفق عليه، و المروي في المصادر الشيعية و السنّية، حيث أوصى رسول اللهﷺ بوديعته: كتاب اللهّ و عترته، بحيث قال: ((إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي)).

**اولاً**: قالوا: بأنه في هذا الحديث دلالة على أنّ القرآن قد جُمع في مجموعة واحدة مكتوبة في عصر الرّسول الأعظمﷺ. لَانّه لا يصح اطلاق الكتاب عليه و هو في الصدور. بل لا على ما كُتب في اللخاف و العسب و الأكتاف إلّا على نحو المجاز و العناية، و المجاز لا يُحمل اللفظ عليه من غير قرينة، فانّ لفظ الكتاب ظاهر فيما كان له وجود واحد جمعي، و لا يُطلق

على المكتوب إذا كان مجزّأً فضلًا عمّا إذ لم يُكتب، و كان محفوظاً في الصدور[٣٣].

ولكن يمكننا أن نقول: بأنّ هذا الحديث أكثر ما يدلّ عليه هو أنّ القرآن كان مكتوبًا مدوّنًا في زمن الرسولﷺ، وقد أمر النبيﷺ بالتمسك بذاك القرآن المكتوب، ولكن دلالته على القرآن الذي كان بين دفّتين و بصورة مجموعة واحدة، غير واضحة.

**ثانيًا**: يمكن نقض هذا الدعوى ببعض الآيات القرآنية التي نزلت في بداية الوحي و قد استعمل فيها لفظة ((كتاب)) للقرآن الكريم، والحال أن القرآن لم يكن بشكل كتاب مدوّن ذاك الوقت.

## حقيقة جمع عثمان بن عفان للمصحف:

قد يُسئل بأنّه: ما حقيقة جمع عثمان للمصحف، الذي هو مشهور بين العلماء والمفسرين و أرباب السير، علي الخصوص بين أبناء العامة؟.

وقد أجيب عن هذا السؤال بأنّه قد جُمع القرآن في زمانه، لا بمعنى أنّه جَمَع الآيات والسور في مصحف، بل بمعنى أنه جَمَع المسلمين على قراءة (مصحف) إمام واحد، وأحرق المصاحف الأخرى التي تخالِف ذلك المصحف، وكتب إلى البلدان أن يحرقوا ما عندهم منها، ونهى المسلمين عن الاختلاف في القراءة[٣٤].

نقل البخاري رواية إن عثمان أرسل إلى حفصة بنت عمر، يطلب منها نسخة الصحف التي جمعت أيام أبي بكر (وانتقلت إليها عقب وفاة عمر)، لعمل نسخة منها فأرسلتها إليه، وأنّ عثمان، ((أمر زيداً بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف)). وتقول الرواية إن عثمان قال لهم: ((إذا اختلفتم في شيء «فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم)). وتضيف الرواية: إنه عندما أنهى هؤلاء نسخ الصُّحف التي كانت لدى حفصة في مصحف واحد، رد عثمان الصحف إليها وأرسل إلى جميع الأمصار بنسخة من المصحف الجامع وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق».

فهذا تشهد أنّ جَمْع عثمان ليس بمعنى جمع الآيات و السور، بل هو جمع المسلمين على قراءة واحدة.

وفي هذا المجال قال الأستاذ مكارم الشيرازي: ((أمّا ما فعله عثمان في هذا الصدد، فتدلّ القرائن أنّه أقدم على كتابة قرآن واحد عليه علامات التلاوة و الإعجام، منعا للاختلاف في القراءات، إذ لم يكن التنقيط معمولا به حتى ذلك الوقت))[٣٥].

## النتيجة:

قد درسنا دراسة موجزة في أشهر الروايات الواردة في باب جمع القرآن و أقوال علماء الفريقين في هذا الباب، و هي تدلّ على أن جمع القرآن بمعنى تدوينه وكتابته قد تمّ في زمن النبيﷺ، فكان القرآن الكريم كُتب و دُوّن في عهد النبي الكريمﷺ على العسب واللخاف و الأكتاف و الجلود والرقاع و غيرها من الأشياء التي كانت تكتب عليها على عادة العرب و كانت تطلق عليها الصحف. و يمكننا أن نطلق على هذه المرحلة ((مرحلة تدوين القرآن)) التي قد تمّت في عصر النبيﷺ.

أمّا جمع القرآن بمعنى جمعًا لشتات السور المكتوبة في العسب واللخاف وغيرها، و إلحاق الآيات النازلة متفرقة إلى سور تناسبها في مصحف بين الدفّتين، فهذا قد تمّ بعد وفاة النبيﷺ.

إلا أنّنا لم نصل إلى دليل واضح من الروايات، أنّ الجمع الذي قد تمّ في ذاك العصرﷺ هل كان على صورة التي هي بين أيدينا اليوم، أو كان الجمع على صورة أخرى قد لا نعرفها؟.

الهوامش:

(١) راغب الإصفهاني، حسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن: ج١ ص٢٠١.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٨ ص٥٣.

(٣) راجع: فاضل اللنكراني، مدخل التفسير: ص٢٩٩، ٣٠١.

(٤) العُسُبُ جمع عَسيبٍ هو جَريدةُ النَّخْل.

(٥) اللِّخَافُ هي حجارة رقيقة.

(٦) الرقاع هي الجلود.

(٧) تستند هذه الوجهة من النظر إلى ما رواه البخاري خاصة. فقد عقد باباً في صحيحه (ضمن «كتاب فضائل القرآن») جعل عنوانه: «باب جمع القرآن» أورد فيه عدداً من الروايات التي تتحدث عن جمع القرآن، فراجع: صحيح البخاري: ج٦ ص٩٨، ٩٩.

(٨) يقول السيد المرتضى: إن القرآن كان على عهد رسول اللهﷺ مجموعًا مؤلَّفًا على ما هو الآنَ (الدارابي، علي الموسوي، نصوص في علوم القرآن: ج ٣ ص ٢٠٦).

(٩) حرب اليمامة التي قتل فيها كثير من الصحابة القُرَّاء.

(١٠) البخاري، صحيح البخاري: ج٦ ص ٩٨، ٩٩، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن.

(١١) خلاصة إشكال السيّد الخوئي هو: انّ أحاديث جمع القرآن في كتب السنّة متناقضة في أنفسها، فقد روي أنّ الجمع كان في زمن أبي بكر حين مقتل القرّاء باليمامة، و روي أنّه كان في زمن عمر، ثمّ اختلفت الروايات فيمن عيّن عثمان للكتابة، فقيل إنّه عيّن زيداً و ابن الزبير و سعيداً، و عبد الرحمن بن الحرب، و قيل: عيّن زيداً للكتابة و سعيداً للاملاء، و قيل: عيّن ثقيفاً للكتابة و هذيلًا، و جاء في رواية أُخرى: أنّ المملي أُبي بن كعب، و أنّ سعيداً كان يعرب ما كتبه زيد (راجع: الخوئي، ابوالقاسم الموسوي، البيان في تفسير القرآن: ص ٢٣٨ إلى٢٤٨).

(١٢) المصدر نفسه: ص ٢٤٨ إلى٢٥٤).

(١٣) ابن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ج٩ ص ١٩؛ أحمد بن حنبل، مسند: ج١ ص ٥٧.

(١٤) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي: ج٥ ص ٣٩٠؛ حاكم نيسابوري، المستدرك على الصحيحين: ج٢ ص ٢٢٩؛ بيَّن البيهقي في شعب الإيمان، ص١٧١ أنَّ المقصود بالتأليف: «الترتيب». فقال: «وَإِنَّما أَرَادَ -والله أعلم -تَأْلِيف ما نزلَ مِن الآياتِ المتفرِّقَةِ في سُورَتِهَا، وَجَمْعها فيها، بإشارةِ النَّبِيِّ».

(١٥) حاكم نيسابوري، المستدرك على الصحيحين: ج٢ ص ٢٢٩.

(١٦) الطبراني، المعجم الكبير: ج٩ ص ٦١، باب أبو محرز عن عثمان بن أبي العاص؛ الهيثمي، مجمع الزوائد: ج ٩ ص ٣٧١، باب في عثمان بن حنيف.

(١٧) الضحاك، ابن أبي عاصم، احمد بن عمرو، الآحاد والمثاني: ج ٣ ص ١٩١، باب عثمان

بن أبي العاص.

(١٨) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم: ج٦ ص ٣٠، باب: النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار؛ و نقل مثله أحمد بن حنبل في مسنده: ج٢ ص ٦.

(١٩) الضحاك، ابن أبي عاصم، احمد بن عمرو، الآحاد والمثاني: ج ٣ ص ١٩١، باب عثمان بن أبي العاص.

(٢٠) هيثمي، مجمع الزوائد: ج ٩ ص ٣١٣.

(٢١) ابن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ج٩ ص ٤٨.

(٢٢) البخاري، صحيح البخاري: ج٦ ص ١٠٣، باب فاتحة الكتاب؛ ومثله في: ج٤ ص ٢٢٩، باب مناقب الأنصار؛ النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم: ج٧ ص ١٤٩.

(٢٣) ((كُنَّا عِنْدَ رَسُوْلِ اللﷺ نُؤَلِّفُ القُرْآنَ مِنَ الرِّقاعِ)) (الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي: ج٥ ص ٣٩٠؛ حاكم نيسابوري، المستدرك على الصحيحين: ج٢ ص ٢٢٩).

(٢٤) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١٢ ص ١٢٠.

(٢٥) هادي معرفة، محمد، التمهيد في علوم القرآن: ج١.

(٢٦) فيض الكاشاني، الوافي: ج٩ ص: ١٧٨٠، ط اولى ١٤٠٦، كتابخانه أمير المؤمنين علي، اصفهان؛ مجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٨٩ ص٤٨.

(٢٧) البحراني، سيد هاشم، البرهان في تفسير القرآن: ج٢ ص: ٧١٠.

(٢٨) البحراني، سيد هاشم، البرهان في تفسير القرآن: ج٢ ص: ٧١٠.

(٢٩) الطبرسي، محمد بن علي، الاحتجاج: ج١ ص٧٥.

(٣٠) مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج١ ص ٢٣، ٢٤.

(٣١) الدارابي، علي الموسوي، نصوص في علوم القرآن: ج ٣ ص ٣٢٨.

(٣٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٢ ص ١٢٠.

(٣٣) سبحاني، جعفر، موسوعة طبقات الفقهاء: ج١ ص ١٠١.

(٣٤) الخوئي، ابوالقاسم الموسوي، البيان في تفسير القرآن: ص ٢٥٦، باب فكرة عن جمع القرآن.

(٣٥) مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج١ ص ٢٤.

## المصادر والمراجع:


كتاب الله، القرآن الكريم.

١. ابن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ط الثانية، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

٢. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ط سوم ١٤١٤هـ، دار صادر بيروت.

٣. أحمد بن حنبل، مسند أحمد: ط دار صادر بيروت لبنان.

٤. البخاري، الصحيح البخاري: ط ١٤٠١هـ، دار الفكر للطباعة والنشر.

٥. الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي: ط ١٤٠٣هـ، دار الفكر للطباعة والنشر.

٦. حاكم نيسابوري، المستدرك على الصحيحين: تحقيق يوسف عبد الرحمن، طبعة مزيدة.

٧. حسكاني، عبيد الله بن احمد، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: ط الاولى ١٤١١هـ، وزارة الارشاد الاسلامي تهران.

٨. الحكيم، السيد محمد باقر، علوم القرآن: ط الثالثة ١٤١٧ هـ، مؤسسة الهادي، قم.

٩. الخوئي، ابوالقاسم الموسوي، البيان في تفسير القرآن: ط الثالثة ١٤١٨ هـ، دار الثقلين قم.

١٠. راغب الإصفهاني، حسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن: ط الأولى ١٤١٢، دار العلم، بيروت.

١١. الضحاك، ابن أبي عاصم، احمد بن عمرو، الآحاد والمثاني: تحقيق باسم فيصل أحمد، دار الدراية بيروت، لبنان.

١٢. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: مؤسسة النشر الإسلامي.

١٣. الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ط الثانية ١٤٠٥هـ، دار إحياء التراث العربي.

١٤. الطبرسي، محمد بن علي، الاحتجاج: ط الاولى ١٤٠٣ هـ، نشر مرتضى،

مشهد ايران.
١٥. مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ط الاولى ١٤٢١هـ، الناشر مدرسة الإمام علي بن أبي طالب.
١٦. الموسوي الدارابي، سيد علي، نصوص في علوم القرآن: ج ٣، ط الثالثة ١٤٢٦هـ، الناشر مجمع البحوث الاسلاميه مشهد.
١٧. النسائي، السنن الكبرى: ط الاولى ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية بيروت.
١٨. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم: (٨ مجلدات) ط دار الفكر بيروت.
١٩. هادي معرفة، محمد، التمهيد في علوم القرآن: ج ١، ط ١٤٣٢هـ، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.
٢٠. الهيثمي، مجمع الزوائد: ط ١٤٠٨ هـ، دار الكتب العلمية بيروت.